

كراسات المنتدى

Les Cahiers du FTDES

جويلية 2019

الكراس عدد 2

سوسيولوجيا الفعل الجماعي في تونس

منذ 14 جانفي 2011

تعدد طرق الإنخراط و تنوع أشكال الإحتجاج

الكراس عدد 2

جويلية 2019

عبد الرحمان بن شعبان

أستاذ تعليم ثانوي وباحث في التاريخ المعاصر

جيش الطباشير: عندما ينفذُ القطاعي

إلى العمق الوطني³⁶⁹

³⁶⁹المقصود بالوطني هو العام، الشامل، المتجاوز للقطاعي، الفئوي، المحلي

ملخص

قراءة لتحركات أساتذة التعليم الثانوي نوفمبر 2018_ فيفري 2019 ، في الأسباب والأهداف، في التركيبة وأساليب الاحتجاج ، في علاقة نقابة التعليم الثانوي بالمكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل، في القطاعي والوطني والعلاقة بينها ، حول كل هذه الاستفهامات والعناوين تبحث هذه الورقة السوسيو تاريخية.

Abstract

This socio-historical paper is a study of the movement carried by high school teachers from November 2018 to February 2019. It will look into the movement's causes and aims, as well as its constitution and the forms of protest it undertook. The following is also an observation of the relationship between the General League of Secondary Education and the Executive Office of the Tunisian General Labor Union, as well as an examination of both the sectoral and the national dimension of the movement and the relation between these two.

" نحن لا نناضل من أجل رسيون خبز وبنطلون، نحن نناضل من أجل وطن "

فرحات حشاد

"شادين شادين في حقوق المربين"، شعار رددته حناجر أساتذة التعليم الثانوي في شوارع البلاد منذ انطلاق تحركاتهم الاحتجاجية في نوفمبر 2018 وتواصلها إلى فيفري 2019 ، هذه الاحتجاجات كانت عنوانا للشارع التونسي خلال أكثر من أربعة أشهر وسمتها الحكومة والإعلام بـ" أزمة التعليم الثانوي" في حين أعلن أصحابها أنها " ثورة جيش الطباشير " ترجموها في الواقع بمسيرات جهوية ووطنية واعتصامات بالمندوبيات الجهوية للتربية في كل ولايات الجمهورية ومن ثمة باعتصام مركزي في مقر وزارة التربية .

يشهد التعليم العمومي في تونس منذ سنوات تأزما كبيرا على كل المستويات، بعد 14 جانفي 2011 بدأت الأصوات تتعالى مطالبة بضرورة الإصلاح والتغيير الذي أصبح حاجة ملحة أمام تدهور وضعية المؤسسات التربوية وقدم المناهج وطرق التدريس من جهة، وتدهور وضعية الأساتذة من جهة أخرى خاصة خلال الخمس سنوات الماضية وما رافقها من ارتفاع للأسعار وتدنُّ للقدرة الشرائية ، كلّ هذا دفع بالنقابة العامة للتعليم الثانوي ومن ورائها 100 ألف أستاذ وأستاذة للدخول في موجة من الاحتجاجات على امتداد أكثر من ثمانِ سنوات، ولكن تحركات نوفمبر 2018_ فيفري 2019 كانت مغايرة للتحركات التي سبقتها من حيث طبيعة التحركات وأشكال الاحتجاج ومن حيث تركيبة المحتجين والشعارات التي رُفعت.

تحركات "جيش الطباشير " لم تكن مطلبية قطاعية فقط، بل كانت مطالب وطنية واجهت خيارات الحكومة ومثلت حيِّزا واسعا لإمكانيات التغيير التي بدأت تتلاشى عند عدد كبير من التونسيين وخلق الأساتذة تعبيرة جديدة من تعبيرات الفعل الجماعي من خلال تجاوز المنطق النقابي الهيكلي الصرف الذي ينبنى على الانضباط لقرارات الهياكل

العليا وتحويل مبادرات فردية إلى منجزات جماعية. وانطبقت عليه محددات خلق الفعل الجماعي كما أوردها " دفيد سنو " أحد مؤسسي نظرية " التحليل الإطاري"³⁷⁰ وهي: وجود المشكل وتحديد المسؤولين عنه (إصلاح المنظومة التربوية وتحسين الوضعية المادية و المعنوية للأستاذ / المسؤول هو وزارة التربية والحكومة)، تحديد الآليات والوسائل الناجعة والضرورية للفعل ومواجهة الجهة التي تسبب/ تمثل المشكل (المسيرات، الاعتصامات، مقاطعة الفروض التأليفية) والإيمان / الاعتقاد بضرورة القدرة على الفعل وضرورة الفعل وإمكانية التغيير والانتصار (نسبة انخراط الأساتذة في هذه التحركات تجاوزت التسعين بالمائة³⁷¹). على مستوى خر كان المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل رافضا لهذه التحركات ليجد جيش الطباشير نفسه لا في مواجهة الحكومة وجزء كبير من الأولياء فقط بل في مواجهة المركزية النقابية كذلك .

هذه الوضعية طرحت عدّة تساؤلات ليس على المستوى النقابي والتاريخي فقط، بل على المستوى السوسيوولوجي: " ما هي طبيعة العلاقة بين المركزية النقابية وجامعة التعليم الثانوي؟ ما الذي جدّ على تركيبة هذا القطاع ؟ ما علاقة هذه التحركات بالحركة الاجتماعية المتواصلة منذ 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011؟ هل هي مجرد تحركات احتجاجية غايتها تحقيق مطالب قطاعية أم أنها امتداد لمسار ثوري تعطل يحاول الأساتذة إحياءه ؟

في الإجابة عن أسئلة هذه الورقة البحثية السوسيو تاريخية تمّ اعتماد المنهج الكيفي الذي يمكّننا من دراسة التحركات الاحتجاجية ودور الفاعلين فيها، اعتمدت المقابلات نصف الموجهة وطرحت خلالها الأسئلة ذات العلاقة بالإشكالية محلّ الدراسة في هذا البحث مع الفاعلين

إرتأيتُ أن أتوجه إلى الكاتب العام المساعد المسؤول عن المرأة والشباب العامل

³⁷⁰Benford ,RobertD,et DavidSnow" Processus de cadrage et mouvements sociaux :présentation et bilan", Politix, vol 99, no 3; 2012 p.217-255

³⁷¹حسب تصريح الكاتب العام المساعد للجامعة العامة للتعليم الثانوي أحمد المهوك لقناة نسمة

والجمعيات بالاتحاد العام التونسي للشغل "سمير الشقي" لفهم طبيعة العلاقة بين المركزية النقابية والتعليم الثانوي تاريخيا، ووجهة نظرها حول الحركة الاحتجاجية لأساتذة التعليم الثانوي، كما توجهت إلى الكتاب العامين المساعدين للنقابة العامة للتعليم الثانوي "أحمد المهوك" (مكلف بالعلاقات الخارجية)، "روضة العيفة" (مكلفة بالمرأة)، "نبيل الحمروني" (مكلف بالدراسات والتشريع) باعتبار موقعهم القيادي في الحركة الاحتجاجية ودورهم فيها، إضافة إلى مقابلات مع بعض الأساتذة الفاعلين في التحركات، إضافة لذلك اعتمدت تقنية الملاحظة بالمشاركة، حيث أنجز هذا البحث بقبعتين: قبة الباحث وقبة الفاعل/المشارك باعتباري أستاذ تعليم ثانوي وكنت من المشاركين في هذه التحركات.

مدخل إشكالي:

قد تبدو تحركات أساتذة التعليم الثانوي منذ الوهلة الأولى شكلا من أشكال العمل النقابي المطلي الذي يهدف إلى تحقيق مطالب قطاعية تبدأ بتوفر أسبابها الموضوعية (طلب/ رفض شيء ما) ورافعاتها التنفيذية (الالتفاف حول هذه المطالب، تحديد الخطة النضالية)، وتنتهي بمجرد تحقق هذه المطالب وهذه هي طبيعة العمل النقابي، فإذا بحثنا عن مفهوم النقابة لغة نجد أنه يعني الرئاسة، ويقال لكبير القوم نقيب أو رئيس أو عقيد³⁷²، أما اصطلاحا فنجد أنها، " هيئة قانونية تتكوّن من مجموعة المواطنين الذين يتعاطون مهنة واحدة أو مهنة متقاربة وهي جمعية تتشكل لأغراض المفاوضة الاجتماعية والمساومة الجماعية بشأن شروط الاستخدام ورعاية مصالح أعضائها الاقتصادية والاجتماعية عن طريق الضغط على الحكومات والهيئات التشريعية واللجوء إلى العمل السياسي في بعض الحالات المعينة"³⁷³ كما

علي بن داهية و آخرون. القاموس الجديد للطلاب، مادة النقيب، تونس 1976، ص 47³⁷²
محمد السويدي: علم الاجتماع السياسي، ميدانه و قضاياها، الجزائر، 1991، ص 121³⁷³

تعرف كذلك بكونها " مجموعة من العمال تضم مهنة أو أكثر و أنشئت أساسا من أجل الدفاع عن مصالح الأعضاء ورعايتهم من الناحية الاقتصادية التي ترتبط بأعمالهم اليومية³⁷⁴ ". هذه التعريفات تلتقي معها نقابة التعليم الثانوي في المستوى النظري والعملي، ولكنها تجاوزتها نحو الأعمق للتحوّل إلى واجهة دفاع مجتمعي ضدّ الخيارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للنظام الحاكم، وليس مطلبيًا قطاعيًا فقط. وعلى مستوى آخر سعت إلى فرض استقلالية القرار النقابي في علاقة بالمركزية النقابية للاتحاد العام التونسي للشغل التي كانت رافضة لشكل الاحتجاج (مقاطعة الفروض التأليفية للثلاثي الأول)³⁷⁵.

هذه المهام التي طرحها "جيش الطباشير" على نفسه تتطلب أساليب احتجاج جديدة خلقت سياقًا جديدًا لم يشهده قطاع التعليم الثانوي من قبل، فما هي أشكال الاحتجاج الطارئة على القطاع؟ من أبدعها؟ وما هي نتائجها؟ كيف تحوّلت تحركات قطاعية مطلبية إلى مطالب وطنية كبرى؟ ما طبيعة العلاقة بين نقابة التعليم الثانوي والمركزية النقابية خلال فترة التحركات وما قبلها؟

1. التعليم الثانوي والمركزية النقابية: وحدة وصراع

تأسست نقابة الأساتذة في سنة 1972 بخمس نقابات ثمّ توحدت في سنة 1983، منذ بداياتها كانت علاقتها بالمركزية النقابية تحكمها علاقة صراع -وحدة، فكلما تقاربت المركزية مع السلطة الحاكمة دخلت في علاقة صراع مع نقابة التعليم الثانوي وكلّما تباعدت المركزية مع السلطة اتّسمت العلاقة بالالتقاء والوحدة .

إسماعيل الغزال: القانون الدستوري و النظم السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان 1989، ص 159³⁷⁴
تصريح سمير الشفي الأمين العام للمساعد للإتحاد العام التونسي للشغل في مقابلة معه بتاريخ 11 مارس 2019³⁷⁵

في سنة 1977 رفض نواب التعليم الثانوي في اجتماع المجلس الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل الميثاق الوطني الذي سيوقعها لحبيب عاشور الأمين العام للاتحاد آنذاك مع الوزير الأول الهادي نويرة حول عدم المطالبة بالزيادات لثلاث سنوات مقابل تعهد الحكومة بتجميد الأسعار، هذا الرفض أدى إلى تجميد 177 عضو نقابي من التعليم الثانوي في أبريل 1977 ثم وقبيل اندلاع الأزمة مع السلطة واستعداد للإضراب العام في 26 جانفي 1978 تم رفع التجميد، وخلال أزمة 1985 التي عرفها اتحاد الشغل تم إغلاق مقر الجامعة وتجميد 480 عضوا نقابيا³⁷⁶.

في سنة 2005 وعقب إعلان زيارة أريال شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي لتونس في إطار قمة المعلومات أعلنت نقابة التعليم الثانوي إضرابا بيوم احتجاجا على هذه الزيارة، فنشرت المركزية النقابية بيانا تعلن فيه رفضها لهذا الإضراب وتدعو الأساتذة إلى التدريس بشكل عادي، رغم ذلك حقق الإضراب نسبة نجاح مرتفعة³⁷⁷.

في 13 أبريل 2018 أعلنت نقابة التعليم الثانوي بعد عقد هيئتها الإدارية القطاعية تعليق الدروس في كافة المدارس الإعدادية والمعاهد الثانوية إضافة إلى مواصلة حجب الأعداد (الشكل الاحتجاجي الذي اتخذته منذ ديسمبر 2017). هذا القرار لم يتم إمضاؤه من طرف المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل والذي عبّر عن رفضه لهذه الخطوة وتدخل في 22 أبريل 2018 بعقد الهيئة الإدارية الوطنية التي قررت استئناف الدروس³⁷⁸ وعبرت عن استعدادها للتفاوض حول مطالب الأساتذة واعدة إياهم بالعمل على تحقيق مطالبهم، في حين نشرت الجامعة العامة للتعليم الثانوي بيانا تدعو فيه إلى مواصلة تعليق الدروس، هذا الاختلاف في المواقف يُفسّر بنزوع قطاع التعليم إلى فرض استقلالية قراره وحرية اعتماده كلّ الأساليب الاحتجاجية لتحقيق غاياته، كما كان هناك إيمان جماعي بأن القرارات والتحركات التي اتخذها الأساتذة هي وليدة إرادة جماعية مفوّضة إلى النقابة

تصريح أحمد المهووك الكاتب العام المساعد للجامعة العامة للتعليم الثانوي في مقابلة معه بتاريخ 7 مارس 2019³⁷⁶ تجاوزت نسبة المشاركة في الإضراب 95 بالمائة حسب شهادة الكاتب العام المساعد للجامعة العامة للتعليم الثانوي نبيل الحمروني في مقابلة معه بتاريخ 15 مارس 2019³⁷⁷
تصريح نور الدين الطوبوي أمين عام اتحاد الشغل لوسائل الإعلام عقب انتهاء الهيئة الإدارية الوطنية بتاريخ 22 أبريل 2018³⁷⁸

العامّة للتعليم الثانوي ولا يمكن التراجع عنها أو المواصلة فيها إلا بقرار من المفوض له وهو ما حصل بعد دعوة النقابة الأساتذة إلى استئناف الدروس في 24 أبريل 2018 .

هذه الأزمة عمّقت فكرة أهمية الفعل الجماعي داخل قطاع التعليم الثانوي الذي أصبح يؤمن بأنه يخوض وحيدا حربا في مواجهة وزارة التربية ومن ورائها الحكومة أمام ما يعتبرونه "تخاذلا أو تواطؤا من طرف المركزية النقابية"³⁷⁹

مع فشل المفاوضات بعد نسق ماراطوني امتد لأكثر من ثمانية أشهر أعلنت النقابة العامة مقاطعة امتحانات الفروض التأليفية للثلاثي الأول، في حين رفضت المركزية النقابية هذه القرارات معتبرة أن أي قرار يمس من الامتحانات والتقييم هو قرار مرفوض باعتبار حساسية المسألة وارتباطها بمصير الآلاف من التلاميذ ومن الأسر التونسية وما سيخلفه ذلك من غضب وسخط على الأساتذة ونقابة التعليم الثانوي وعلى الاتحاد العام التونسي للشغل ككل³⁸⁰. هذه المعطيات وجهت بنادق الأساتذة نحو الحكومة من جهة و"الإعلام غير المحايد" من جهة أخرى وحتى قيادتها النقابية العليا ورسخت فكرة التضامن القطاعي والوحدة الأستاذية كسبيل لتحقيق المطالب، فكانت المسيرة الوطنية في 19 ديسمبر 2018 تعبيرا على هذا الشعور حيث انطلقت المسيرة من أمام مقرّ وزارة التربية رفع خلالها الأساتذة شعاراتهم القطاعية المطلوبة ثم مروا ببطحاء محمد علي حيث مقرّ الاتحاد العام التونسي للشغل ليصبّوا جام غضبهم على المركزية النقابية رافعين شعارات تندد بالموقف من تحركاتهم، "يا حسّاد وين أمجادك الطبوبي باع أولادك"، "يا حسّاد شوف شوف الخيانة بالمكشوف" هذه الشعارات كشفت عن حجم القطيعة بين المكتب التنفيذي والقواعد الأستاذية، ثم عبر "جيش الطباشير" نحو شارع الحبيب بورقيبة موجها شعاراته للحكومة (سنأتي على ذكر الشعارات في القسم القادم) فكان الأساتذة يعلنون أنها معركة مفتوحة في اتجاهات مختلفة تذكّر بالمهام الموكولة إلى الحركة الاجتماعية 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011 وهي مهام التغيير الجذري، فهم

تصريح أستاذ تعليم ثانوي ففي مقابلة معه بتاريخ 8 مارس 2019³⁷⁹
تصريح سمير الشفي الأمين العام المساعد للإتحاد العام التونسي للشغل في مقابلة معه بتاريخ 11 مارس 2019³⁸⁰

يواجهون وزارة متقاعدسة عاجزة عن إصلاح المنظومة التربوية وفق المتطلبات الجديدة، وحكومة تفتقد الإرادة وسلطة القرار وتسعى إلى تمرير خياراتها الاقتصادية والاجتماعية وإيقاف السيرورة الثورية، ومركزية نقابية تنعتها بـ "البيروقراطية" تخلت عنها وتعمل على إدخالها إلى بيت الطاعة.³⁸¹

يرى

"تورين" أنا المجتمع المعاصر هو مجتمع ميميل إلى الهيمنة والتسلط والسيطرة على الفاعلين، وأنا الحركة الاجتماعية باعتبارها الذات الفاعلة، ما هي التعبير عن رفضها لهذا الهيمنة والتسلط والسيطرة بمختر لفأبعادها، هكذا يمكن أن نفهم التحركات الاحتجاجية للأساتذة باعتبارها خطوط إفلات من محاولات السيطرة ورفضاً للتدجين والاحتواء، وهو ما يفتح أمامنا جملة من التساؤلات: " كيف عبّر الأساتذة عن هذا الرفض / الاحتجاج؟ ما هي أساليب دفاعهم أمام محاولات الهيمنة؟ ما الذي جدّ في تركيبة قطاع التعليم الثانوي؟

2. جيش الطباشير: ما الذي جدّ؟

مثلت الوضعية الثورية التي عرفتها البلاد التونسية بين 17 ديسمبر 2010 و 14 جانفي 2011 منطلقا لتحولات عديدة على مستويات مختلفة، ألفت بظلالها على الوضع النقابي ككل وعلى النقابة العامة للتعليم الثانوي ومن ورائها الأساتذة بشكل خاص، ولعلّ ذلك بدا جلياً من خلال التحركات الاحتجاجية التي خاضها أساتذة التعليم الثانوي بين نوفمبر 2018 _ فيفري 2019 والتي كشفت عن تحول عميق في السياق العام الاحتجاجي/النقابي الكلاسيكي، ليس على المستوى المشهدي فقط بل حتى المطليبي. سنرّكز في هذا العنصر على أبرز التحولات التي عرفها قطاع التعليم الثانوي وهي: التركيبة، أشكال الاحتجاج .

تصريح الكاتب العام المساعد للجامعة العامة للتعليم الثانوي نبيل الحمروني في مقابلة معه بتاريخ 15 مارس 2019 ³⁸¹

أ- التركيبة :

"هؤلاء الشباب أعادوا لنا الأمل ونزعوا منّا الخوف على القطاع " هكذا حدثتنا إحدى الأستاذات في الإجابة عن سؤالنا حول دور الأساتذة الشباب الوافدين الجدد على القطاع في التحركات الاحتجاجية الأخيرة، تواصل قائلة: " كنت خائفة على مستقبل القطاع وأنا على أبواب التقاعد، هؤلاء الشباب مثّلوا دفعا نضاليا جديدا في التعليم الثانوي الذي كان يعيش حالة تهزّم "هذا الإعلان يفسّر حجم التحول الذي عرفه قطاع التعليم الثانوي خلال السنوات الأخيرة .

معظم الأساتذة في التعليم الثانوي هم خريجو الثمانينات والتسعينات والتحقوا بالتدريس مباشرة بعد تخرجهم، وأغلبهم كانوا مواكبين للزخم السياسي والنقابي التي عرفته الجامعة التونسية خلال تلك الفترة وبالتالي مثّلوا قاعدة نضالية احتجاجية داخل نقابة التعليم الثانوي، ولكن مع إقرار مناظرة "الكاباس"³⁸² بدأت هذه القاعدة تتلاشى خاصة مع الفرز الأمني الذي كان يتعرّض له المترشحون للمناظرة خاصة من الفاعلين السياسيين والنقابيين في الجامعة التونسية وبالأساس المنتسبين للاتحاد العام لطلبة تونس .

بعد 2011 تعززت صفوف قطاع التعليم الثانوي بفاعلين جدد فالتحق بالتدريس العديد من النشطاء السابقين في الاتحاد العام لطلبة تونس بعد نجاحهم في اجتياز مناظرة الكاباس سنوات 2010³⁸³، 2014، 2015، 2017 إضافة إلى عشرات الملتحقين بالتعليم الثانوي تحت مَلّف " المفروزين أمنيا " وخريجي دار المعلمين العليا، فمثّل هؤلاء دفعا جديدا داخل قطاع التعليم الثانوي وأحد أبرز الفاعلين في التحركات الاحتجاجية لـ"جيش الطباشير" .

الوافدون الجدد في التعليم الثانوي قدم أغلبهم من تجارب نقابية وسياسية سابقة، كما انخرط العديد منهم في الحملات الشبابية التي عرفتها تونس منذ 14 جانفي 2011 مثل

تم إقرار هذه المناظرة للاتحاق بالتعليم الثانوي منذ سنة 1998³⁸² أجريت هذه المناظرة في سنة 2010 و لكن النتائج تم الإعلان عنها بعد 14 جانفي 2011 و تميّزت بقبول العديد من النشطاء السابقين في الاتحاد العام لطلبة تونس لأول مرّة³⁸³

حملة "مانيش مسامح" و"فاش نستناو" و"حاسبهم" فكان البروز الشبابي ملفتا للانتباه في تحركات الأساتذة في مختلف المحطات من المسيرات والتجمعات واعتصام وزارة التربية فكانوا بمثابة "دينامو" الاحتجاجات.

رافق هذا البروز الشبابي مرونة في التعامل من قبل النقابة العامة للتعليم الثانوي التي راهنت على هذه الروح الجديدة التي أنعشت القطاع وأعطتها فاعلية ونجاعة أكثر، " لقد لعبوا دورا مهما في تحركات الأساتذة، كان رهاننا على نشاطهم وقدرتهم الإبداعية وروح الخلق لديهم، منحناهم حرية المبادرة فغيّروا في المعادلة النقابية رغم بعض الانفلاتات التي قد نفسرها باندفاع الشباب أحيانا وبنقص الخبرة أحيانا أخرى"، هكذا عبّر الكاتب العام للجامعة العامة للتعليم الثانوي لسعد اليعقوبي عن دور هؤلاء الشباب في تحركات الأساتذة .

كان هذا المزيج الجيلى الجديد بين خبرة السابقين وتمرسهم في العمل النقابي داخل الاتحاد العام التونسي للشغل وبين طموح الوافدين الجدد وقدرتهم الإبداعية ومواكبتهم لطرق الاحتجاج وأساليب العمل النقابي الجديدة، ميزة وسمت التحركات الاحتجاجية للأساتذة بدت جليّة من خلال الاستقراء المشهدي لمختلف المحطات النضالية التي خاضها قطاع التعليم الثانوي، كما كان هؤلاء الشباب سببا أساسيا في نجاح الاعتصام في مقر وزارة التربية والذي امتد من 21 جانفي

ما يجدر الإشارة إليه أنّ هؤلاء الشباب لهم سابق معرفة ببعضهم من خلال انخراطهم في الفعل الجماعي الاحتجاجي منذ سنوات إمّا في الاتحاد العام لطلبة تونس أو اتحاد حاملي الشهادات العليا المعطلين عن العمل، أو في الحملات الشبابية أو ينتمون إلى نفس الحزب، وهذا ما خلق "كيمياء" فعل جماعي بين الوافدين الجدد ساهمت في تسريع عملية الاندماج داخل التحركات الاحتجاجية وفي سلاسة التعامل النضالي، وهو ما ترجمته إلى

أرض الواقع من خلال تطوير أشكال الفعل الجماعي الاحتجاجي بابتكار أساليب جديدة وغير معهودة في العمل النقابي .

فكيف تطورت أشكال الاحتجاج عند الأساتذة؟ من ساهم فيها؟

ب- أشكال الاحتجاج:

لسنا هنا بصدد تناول أشكال الاحتجاج النقابي الكلاسيكي، رغم كونها كانت تعبيراً واضحة في تحركات الأساتذة فقد اعتمدوا كل الأساليب من عرائض وإضرابات ومسيرات وتجمعات وصولاً إلى اعتصام مركزي بمقر وزارة التربية، بل لرصد التحولات التي عرفها القطاع في أساليب وطرق النضال .

"جيش الطباشير" مثل هذا عنوان الفعل الجماعي الاحتجاجي للتعليم الثانوي ولخصت تسمية: "أساتذة المدارس الإعدادية والمعاهد الثانوية"، ثم انتشر كالنار في الهشيم ليتحوّل إلى "هاشتاغ" في مواقع التواصل الاجتماعي ويغدو إمضاءً تحت كل المنشورات الداعمة لتحركات الأساتذة، هذه التسمية تحمل مدلولات عديدة بحسب أصحابها، ففكرة الجيش كانت بمعنى القوة والوحدة والثبات والعزم على الانتصار، وهي تحيل أيضاً على فكرة الحرب "الحرب بين الحكومة والوزارة وخياراتها وبين الأساتذة ومطالبهم وأهدافهم، حرب ليست بالصواريخ والطائرات والدبابات، بل بالميدعات والأقلام واللوحات والمحفظات والطباشير"³⁸⁴، الطباشير الذي يرمز إلى إحدى أدوات العمل للأساتذة والتي لطالما تسببت لهم في عديد الأمراض، وتشير أيضاً بحسب أحد الأساتذة إلى السخرية من تصريح وزير التربية حاتم بن سالم عقب زيارته إلى إحدى المؤسسات التربوية في ولاية سليانة حيث عبّر فيه عن صدمته من تواصل استعمال الطباشير في التدريس.

بدا هذا الشعار إذن رأس حربة التحركات الاحتجاجية، وتكثّف استعماله في "الفايسبوك" هذا الفضاء الافتراضي تحوّل إلى قاعة عمليات الأساتذة من خلال إنشاء مجموعات

مقابلة مع مروى دربال أستاذة تعليم ثانوي بتاريخ 13 مارس 2019³⁸⁴

التنسيق وصفحات تختص بالشأن التربوي وأخرى مختصة بتقديم آخر المعطيات والأخبار، وتحوّلت كل الصفحات الشخصية للأساتذة إلى صفحات دعاية وأخبار. فقد كان ضرورة على المدرسين أن يخلقوا إعلامهم البديل في مقابل ما يعتبرونه الإعلام المتحامل والمنحاز للحكومة والذي يعمل على تشويه تحركات الأساتذة ومطالبهم وتحريض الرأي العام ضدهم وحتى السخرية منهم، ممّا اضطرّ نقابة التعليم الثانوي إلى مقاطعتها لكل من قناتي "الحوار التونسي" و"التاسعة" لانعدام الموضوعية والحياد في تغطية تحركات الأساتذة³⁸⁵.

اعتمد الأساتذة في تحركاتهم على الوسائل التقنية المتاحة واستثمروها في التعبئة وفي خدمة مطالبهم وقضيتهم، فتمّ بث كلّ التحركات الاحتجاجية بشكل مباشر على شبكة الأنترنت، إضافة إلى تركيب مقاطع فيديو ونشر صور كاريكاتورية تهاجم الحكومة ووزارة التربية وخياراتها.

تحولت مسيرات الأساتذة إلى مهرجانات احتجاجية، ويجب الإشارة هنا أن أساتذة التعليم الثانوي ولأول مرّة منذ تأسيس النقابة ينزلون في مسيرة قطاعية في شارع الحبيب بورقيبة بالعاصمة، حيث اعتادوا على الاحتجاج أمام وزارة التربية أو في بطحاء محمّد علي، كان ذلك في يوم الغضب الجهوي الذي أعلنته الجامعة العامة للتعليم الثانوي في 12 ديسمبر 2018، وهو ما أضفى بعدا جديدا لهذه الاحتجاجات، حيث نزل الأساتذة بميدعاتهم البيضاء، وبمحفظاتهم، رفع العديد منهم "الطباشير" والبعض الآخر اللوحات واستعملت مكبرات الصوت بشكل مكثّف ممّا ساهم في توحيد الشعارات لتبرز وحدة هذا الفعل الاحتجاجي الجماعي الذي يقوم به الأساتذة.

الطارئ الجديد على تحركات الأساتذة من حيث شكل الاحتجاج هي الشعارات، فقد كانت متعددة (أكثر من 58 شعارا) وأخذت منحى آخر مغايرا لما كان عليه في السابق، فشكل وتركيبه الشعارات الكلاسيكية النقابية تطوّرت تحت وقع تأثير الوافدين الجدد، ليرفع

مقابلة مع أحمد المهوك كاتب عام مساعد لجامعة التعليم الثانوي³⁸⁵

الأستاذة شعارات كانت عناوين لحملات شبابية كشعار: " نظام كلاه السوس هادي ماهياش دولة هادي ضيعة محروس" ³⁸⁶ هذا الشعار الذي لاقى رواجاً كبيراً في صفوف الأستاذة وردّده في كل التحركات الاحتجاجية، وابتكروا شعارات سلسلة وسهلة الفهم عند المتقبل، عميقة الأثر مثل شعار "هز أيديك عالطبلية راهي بنات الجمهورية". السمة الأخرى التي برزت هي القدرة الإبداعية للشعارات، فمع كل إجراء تتخذه الوزارة أو الحكومة ضدّ تحركات الأستاذة كانوا يبدعون شعارات جديدة، فحين هدد الوزير بالاقطاع من أجور المدرسين المقاطعين للامتحانات التأليفية كان الشعار: "قص نهار.. قص شهر والمسيرة تستمر" وحين أصدر منشورا بعزل أحد الأستاذة كان الشعار: "شادين شادين في إرجاع المعزولين".

في وزارة التربية أثنى الأستاذة اعتصامهم بحفلات موسيقية ملتزمة وحلقات نقاش، في كل يوم كانت تأتي الوفود الأستاذية من كل جهات البلاد رافعين شعار: "متحدين منتصرين من بنزرت لتطاوين"، هذا الشعار عبّر عن إيمان المدرسين بجدوى الفعل الجماعي وأن لا خلاص فردياً بل الخلاص لا يكون إلاً جماعياً وأن مواجهة الخيارات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية للدولة لا تكون إلا عبر الوحدة وهو ما لخصه شعار: "وحدة وحدة يا أستاذ والعزيمة من فولاذ". ولو سحبنا التحركات الاحتجاجية للأستاذة على المبادئ الثلاثة التي حددها ألان تورين لتأسيس الحركة الاجتماعية لوجدنا تناسقاً بينها، حيث يعتبر الأنتورين أن تأسيس الحركة الاجتماعية تقوم على ثلاثة مبادئ تعتبرها أساسية وهي:

- مبدأ الهوية: ويُقصد بها ضرورة تحديد الهوية لذاتية لهذه الحركة بمعن بالجامع بين الفاعلين (مجموعة، طبقة، شريحة اجتماعية...) ويجب أيضاً تحديد هوية الخصم أي يجب أن تكون هناك فكرة وقضية.

- مبدأ التعارض: يفترض مبدأ التعارض في الحركة الاجتماعية، عند تورين، تحديد الخصم، أي يجب أن يكون الخصم الذي تقوم عليه الحركة، واضحاً وموضوعياً.

هذا الشعار هو في الأصل من شعارات حملة "مانيش مسامح" ³⁸⁶

وبصيغة أخرى، أنيكونلسؤال: تحركات أساتذة التعليم الثانوي؟ جوابٌ معينٌ و واضح
مثلا: «ضدّ خيارات الحكومة ودفاعا عن حقوق الأساتذة».

- مبدأ الكلية: أي أن تكون الحركة الاجتماعية مكونة من وعي جمعي وبصيغة جمعية
و شمولية لا أقلية وفردية، وذلك من أجل النجاح في التأثير على الرأي العام والحصول
على الحقوق والمطالب، وذلك لأنه، حسب تورين، إذا كانت هناك حركة كلية
شمولية، فمن المستحيل السيطرة عليها، واستنتاجا من مبدأ الكلية عند آلان تورين،
أن الحركة الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل الوعي بالسيطرة على حقوقهم.
وأن الحقوق لا يمكن أن ترجع إليهم، لأن الحقوق لا يتمتع بها المغفلون. ويلخص
آلان تورين هدفه من الحركة الاجتماعية الجديدة في تحديد إرادة الحصول على
حقوق جديدة، وفرض الاعتراف بالحقوق الواجبة المحتكرة عليهم، ويلجّ على أن
الانضمام إلى الحركة الاجتماعية الجديدة التي تمثل كما سبق الذكر الدفاع عن الهوية
والمصالح الخاصة والنضال ضدا على الخصم. هكذا عبّر أساتذة التعليم الثانوي عن
الغايات والأهداف من تحركاتهم، حيث نفذت من المطالبة القطاعية نحو العمق
الوطني لتوجه "مدافعها" نحو خيارات الحكومة الاقتصادية والاجتماعية والتربوي،
وهو ما يدفعنا للتساؤل: أيّ علاقة بين تحركات الأساتذة وخيارات السلطة؟ هل كانت
مجردّ مطلبية تدافع عن حقوق قطاعية أم أنها تجاوزت ذلك؟ هل في العلاقة نفي
للسلطة أو محاولة لافتكك بعض المطالب فقط ؟

3. جيش الطباشير والسلطة: نفي أم إصلاح

"للسلطة برامج فهل للمجتمع دفاعات؟ جيش الطباشير كان أحد هذه الدفاعات
وخطا متقدما في مواجهة السلطة" هكذا صرّح أحد أساتذة التعليم الثانوي المشاركين
في التحركات الاحتجاجية، والموقف من السلطة القائمة وخيارات الحكومة لم يرتبط
بالتحركات الأخيرة، فحين قدمت الحكومة مشروع قانون ميزانية الدولة لسنة 2018

نشرت النقابة العامة للتعليم الثانوي بيانا تعبر فيه عن رفضها له واعتبرته مشروع تجويع وتفجير للشعب .

من أجل فهم طبيعة العلاقة بين التحركات الاحتجاجية للأساتذة من جهة والسلطة من جهة ثانية قمّت بجرد لكل الشعارات التي رفعت، فأحصيتُ حوالي 58 شعارا رفعه الأساتذة طيلة التحركات التي أشتغل عليها (نوفمبر 2018 - فيفري 2019) فكانت النتائج هي الآتية:

- 21 شعارا مطلبيا، أي حوالي 36.20% من الشعارات، كانت قطاعية مطلبية.

مثال:

إصلاح، تقاعد، منحة خصوصية/الأستاذ يريد إصلاح التعليم/منحة خصوصية حق مش مزية.

- 37 شعارا وطنيا أي حوالي 63.80% من الشعارات توجهت نحو خيارات

السلطة اللاوطنية واللاديمقراطية واللاشعبية بإملاءات من صندوق النقد الدولي والدوائر المالية العالمية³⁸⁷.

مثال:

الأستاذ ديما قوي يا حكومة ال FMI /وينو حقك يا مسكين عند الشاهد وكريستين³⁸⁸

/

وين مشات الثروات، هربوا بيها العصابات/عدالة جبائية، سيادة وطنية ..

بتعبير نبيل الحمروني كاتب عام مساعد في جامعة التعليم الثانوي³⁸⁷
المقصود هنا كريستين لاقارد مديرة صندوق النقد الدولي³⁸⁸



389

هذه الشعارات ميّزت كل تحركات جيش الطباشير، رفعوها في كل شوارع البلاد فكانت بمثابة نداء لبقية المجتمع للالتحاق بها والانخراط في هذه الحركة الاجتماعية المضادة لخيارات الحكومة.

"غايتنا ليست قطاعية فقط، ليست منحة خصوصية وتقاعدا مبكراً فقط، نحن ندافع عن سيادة الوطن، على كرامة شعبنا وعن حق الأجيال القادمة في عيش كريم" هكذا عرّف أحمد المهوك كاتب عام مساعد للجامعة العامة للتعليم الثانوي الغاية من التحركات الأستاذية. فحين تمت المصادقة على ميزانية 2019 والتي نصت في أحد فصولها على التخفيض في الضرائب على المساحات التجارية الكبرى وتأجيل

بداية الاستخلاص إلى سنة 2020 رفع الأساتذة شعار "قص..قص ما لأجور..يا حكومة الكارفور"³⁹⁰

بعض تحركات الأساتذة (مثل يوم الغضب الوطني في 19 ديسمبر 2018) تميزت بانخراط العديد من القطاعات والفئات الأخرى مثل المعلمين ومتفقي المعاهد والمتقاعدين، إضافة إلى مئات الطلبة الذين ينتسب أغلبهم إلى الاتحاد العام لطلبة تونس.

ما يجدر الإشارة إليه أن أغلب الأساتذة يعتبرون أن تحركاتهم ليست دفاعاً عن مطالبهم القطاعية وعن سيادة الوطن، بل هي انتصاراً لكرامتهم قبل كل شيء ضد ما اعتبروه حملات من الشيطنة والتشويه تشنها الحكومة بمعية بعض وسائل الإعلام، فغدت الكرامة فكرة أساسية عند هؤلاء الفاعلين الجماعيين المنتفضين ضد هيمنة السلطات الكلية على ذاتيتهم، وفكرة الكرامة في نظر تورين، ليست فكرة ثقافية أو مادية أو اجتماعية، بل فكرة أخلاقية صميمة، ذلك أنها تعرّف الإنسان لا بما يتعالى عنه أو يرتبط به، بل بما هو بشريٌّ فيه. ولذلك تمثل الكرامة، إلى جانب الحرية والعدالة، حقاً بشرياً أساسياً يجب جعله مناط الصراع ضد السلطات الكلية التي تسعى إلى سلب الإنسان بشريته من خلال السيطرة على أدوات بناء ذاتيته

وتتجلى فكرة الكرامة بوضوح حينما يرى أنها أصبحت هي الفكرة المركزية عند الفاعلين الاجتماعيين الذين يصارعون السلطة الكلية، والتي تسعى إلى السيطرة على ذواتهم، إن فكرة الكرامة التي عبر عنها الأساتذة في شعاراتهم ليست فكرة ثقافية، وإنما هي فكرة أخلاقية، لأنها أصبحت من الحقوق الأساسية إلى جانب الحرية والعدالة، وهما كلمتان متصلتان من الصعب الفصل بينهما، ومنهما تنبع فكرة الكرامة، ولهذا يظهر جلياً أن مقاومة السلطة الكلية أو الشمولية تتم عبر بناء حركات أخلاقية، تطرح فيها الكرامة كمدخل للدفاع عن حقوق الإنسان.

³⁹⁰في إشارة للمساحات التجارية الكبرى

ولكن، إذا كانت المطلبية القطاعية ليست هي جوهر الصراع مع السلطة، وإذا كان عمق القضية وطنيا مرتببا بطبيعة السلطة وخياراتها وتوجهاتها، فلماذا انتهت الحركة الاحتجاجية للأساتذة بعد إمضاء الاتفاق مع وزارة التربية في 9 فيفري 2019 والذي تحصل خلالها الأساتذة على مطلب التقاعد المبكر وعلى مضاعفة منحة العودة المدرسية³⁹¹ ؟ فهل هذا الصراع مع السلطة هو نفي لها برمتها أم أنها مجرد تحركات إصلاحية تتوقف مع تحصيلها ؟

تحركات الأساتذة راوحت بين النقابي القطاعي والوطني، فرُفعت مطالبهم ودافعت عن السيادة الوطنية في مواجهة حكومة تخضع لإملاءات صندوق النقد الدولي والدوائر المالية العالمية ولضغوط رجال الأعمال في الداخل. نقابة التعليم الثانوي ومن ورائها جيش الطباشير فهموا كيف يديرون هذا الصراع، فهم من جهة يرون أن دور النقابة هو الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية لمنظوريتها، ومن جهة ثانية يعتبرون أن هذه المطالب تدور في فلك العمق الوطني وأنهم امتداد للحراك الاجتماعي 17 ديسمبر 2010 - 14 جانفي 2011، فالمسألة تحولت بالنسبة لهم إلى مسألة رمزية فلا يجب أن تتوقف الاحتجاجات في البلاد ضد السلطة الحاكمة حتى يسقط النظام، النظام الذي لم يسقط بل أسقط تحت ضغط الحركة الاجتماعية، سقطت رؤوسه اليانعة عندما حان قطافها، أي "بن علي" وعائلته وأصهاره وكبار حاشيته الحاكمة. هذه المجموعة التي قدّمها النظام ككبش فداء وقام بصفقات وتضحيات مُقابل ضمان بقاء أسسه المتينة.³⁹²

الأساتذة يعتبرون أن انتصارهم لم يكن على وزارة التربية ولا على الحكومة بل على صندوق النقد كما أسفلنا القول فهو انتصار قطاعي، وطني رمزي

³⁹¹ أصبحت قيمة منحة العودة المدرسية 75% من الأجر الخام للأساتذ تصرف في أول السنة الدراسية ³⁹²سفيان بن جاب الله ، الحملات الشبابية في تونس (حملة فاش نستناو) ، في سوسيولوجيا الاحتجاج و التنظيم لدى الشباب التونسي ، راج 2018 ، ص34

4. الباحث الفاعل: صوتٌ مشاركٌ وعينٌ تُلاحظ

خلال هذه الورقة البحثية السوسيو- تاريخية اشتغلتُ بقبعتين، قبعة الفاعل باعتباري أستاذ تعليم ثانوي وكنت منخرطاً في الحركة الاحتجاجية للأساتذة وتابعت عن كثب مساراتها وسياقاتها، وقبعة الباحث لكوني بصدد الكتابة حولها والبحث فيها ومحاولة فهمها في سياق الحراك الاجتماعي، وهو ما أعطاني صفة الباحث الفاعل .

فيتناول المفهوم الإشكالي حول الباحث الفاعل نجد أنفسنا في مأزق سوسيولوجي نظراً إلى انعدام وجود تعريف علمي له، فأأي المفاهيم يطغى؟ وهل يؤثر هذا على موضوعية البحث؟

يرى تورين أنه يفترض أن ينخرط عالم الاجتماع في الحركة، وأن يقوم بدراسة الفعل من داخلها دون تبني إيديولوجية الفاعلين (القائمين بالفعل)، وهو ما يؤكد أنه حول مهمة عالم الاجتماع بقوله: "ينخرط في الحركة، نعم؛ ولكن يجب عليه أيضاً أن يتخلص من تنظيمها"³⁹³ بمعنى أن يكون حرّاً تجاه تنظيمها. هذا يعني أيضاً التركيز على المناضلين في القاعدة وليس مع القادة أو الإيديولوجيين الواقعيين تحت تأثير الترسيمات المخصصة للحفاظ على أدوارهم.³⁹⁴

من رجح كفة الفاعل على الباحث، واعتبر أنّ دوره سيقصر على النضال الميداني، فالجماهير على حدّ اعتباره لا تقرأ بطبعها، وبالتالي فهو لن يختلف عن أيّ فاعل آخر في الحركة الاجتماعية، كما أنّ مسألة التجييش والتأثير في عموم الناس غير مرتبطة بالرأسمال الأكاديمي للشخص، بل بسميزات ذاتية قد توجد في الباحث أو في غيره (شخصية كاريزمية). وهو ما يحيلنا إلى إلغاء صفة الباحث والاحتفاظ بالتعريف الذي

تورين آلان. (1979): من أجل علم الاجتماع، ترجمة، تيسير شيخ الأرض، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق - سورية.³⁹³

تورين، آلان. (2011): براديجما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة³⁹⁴ 1

خصّ به علماء الاجتماع الفاعلين. في حين رأى آخرون أنّه يُقدّم إضافة نوعية إلى الحركة الاجتماعية، فالتكوين الأكاديمي يُمكن من رأسمال معرفي يجعل الفاعل الباحث مُلمّاً بتعقيدات الحركة الاجتماعية وقادراً على تفكيك آليات الهيمنة الرمزية للسلطة، وبذلك تكون تصريحاته الصحفية أو الاجتماعات العامة وحلقات النقاش مع الجماهير التي يقوم بها أثناء الاحتجاجات عميقة وعلمية لكونها من زاوية علمية/موضوعية ليس بإمكان باقي الفاعلين التطرق إليها³⁹⁵

خاتمة:

يبدو أنّ تحركات أساتذة التعليم الثانوي (نوفمبر 2018_ فيفري 2019) قد مثلت منعرجاً جديداً في التحركات النقابية وقطعت مع الأشكال الاحتجاجية الكلاسيكية شكلاً ومضموناً، وخرجت من البعد القطاعي إلى العمق الوطني ملامسة القضايا الاقتصادية والاجتماعية، مستفيدة من التحولات التي عرفها قطاع التعليم الثانوي خلال السنوات الأخيرة، مجددة في أساليب الاحتجاج وطريقة. غير أنّها في النهاية اقترنت بـ"المطلبية" وبالترابعية النقابية التي تحكم العلاقات داخل الاتحاد العام التونسي للشغل وبعلاقة وحدة /صراع بين نقابة التعليم الثانوي والمركزية النقابية. ما يمكن استخلاصه من كلّ ما جاء في هذه الورقات هو أنّ هذه الحركة الاحتجاجية لأساتذة التعليم الثانوي رغم امتدادها الزمني وحجم المنخرطين فيها وتنوع وتعدّد أشكال الاحتجاج وكلّ محاولات "الإفلات" من النقابي، وجدت نفسها في المربع الأول للتحركات وهو المطلبية، ولكن ما يحسب على هذه التحركات كتمظهر من تمظهرات الفعل الجماعي هو أنّها مثلت حلقة وصل أخرى من حلقات وصل عديدة للحركة الاحتجاجية 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011.

³⁹⁵ أمين الحسيني : الباحثون الفاعلون كأفق تفكير: من مدارج الكليات إلى الساحات العامة

ما الذي يجمع فسيفساء تشتت قطعها لكنها في نظر بحوثٍ علمية تراها ملتئمة ومجمّعة ومتناسقة؟ كيف لبحوثٍ مُماثلة أن تُقرأ مجتعة رغم فرادة كلّ إشكالية على حدة؟ إشكاليات تُقارب واقعا متشابها ومختلفا تتحدّ فيه أصداده وتتفرق في آن؟ كيف لنا أن نبحث عن تشخيص واقع مماثل؟ واقع فيه فنّان راب من هوامش المدينة يُغني ليحتجّ على مركزية الحقّ في الحياة، وحركة احتجاجية هامشية تعادي التهميش بفعل جماعي يلغي من ألغاه ولو كان من مسانديه. واقع فيه شباب "أولتراس" يتنبؤون بالثورة ولا تعنيهم صيرورتها، وباحثون يتفاجؤون بها فينخرطون في فعل ينشد تحقيقها! فيه مُدوّنون يناضلون في شبكة عنكبوتية ضدّ نظام سقط رأسه فصار كأرملة سوداء! وحملات أفقية في فعلها تنتشر كجذمور في بيئة احتلتها أشجار السلطة التي لا تثمر وفتّانون يجعلون الفضاء العام مكانا لرفض الواقع، الواقع برّمته. واقع فيه أساتذة غادر طباشيرهم الأقسام ليحتجّ في الشوارع، عمال في مصانع الظلّ لا ضوء يُسلط على نضالاتهم، مُهرّجون يجعلون البوليس يبتسم ويعوّضون مناظليّن أتعبتهم كلاسيكية احتجاجهم وأحزنتهم في آن! واقع ترسمه صحراء الكامور بوشائج أولية تنتخب فاعلين عاديين لكن بفعل لم تعتده السلطة، واقع تُصوّره مشاهد جرّرات في جندوبة تغادر حقلا لتذهب إلى حقل آخر: من الحقل الفلاحي إلى الحقل الاحتجاجي! وواحات جمنة التي تحتجّ فيها الدقلة في عراجينها مطالبة بالحقّ في الأرض

47 شارع فرحات حشاد، العمارة «أ»، الطابق الثاني 1001 تونس
الهاتف : +216 71 25 76 64 الفاكس : +216 71 25 76 65
contact@ftdes.net - Contact@ostunisie.org

